بعض الظن

طارق الطيب

طارق الطيب

بعض الظن

♦ Author : Tarek Eltayeb
♦ Title: Certain Suspicions
♦ First Edition: January 2007
♦ Cover painting: T. Eltayeb
♦ Cover Design by: Amr AL-kafrawy
♦ Photo: Hans Labler

♦ المؤلف: طارق الطيب
♦ العنوان : بعض الظن
♦ الطبعة : الأولى، يناير 2007
♦ لوحة الغلاف: طارق الطيب
♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
♦ صورة المؤلف: هانس لابلر



رقم الإيداع:
2006/24411
الترقيم الدولي: ISBN
977-6148 -23-9

Afaq Bookshop & Publishing House

75 QASR - ALAINI ST., in Front of Dar Al-Hekma, - CAIRO - EGYPT
Tel.fax : +202-795-3811 E-mail:afaqbooks@yahoo.com

إهداء

إلى ميسرة

الصبيّ الذي سافر أبعد كثيراً مما تخيّلت



صنع المفاتيح

تغيب أسماءٌ ومفاتيح
وتبقى أبوابٌ موصدة
فلا تعرفُ كيف تدخل
وتبقى أبوابٌ مفتوحة
فلا تعرف أتدخل أم لا
تبقي الأفعال وأنت حارسٌ لها
تظل في محاولات التذكر مُصِرًّا
وتمتهن مهنة تصبرُ عليها
تصوغ فيها المفاتيح
وحين تنتهي من تشكيل أوَّلِهَا
تفتح أوَّلَ الأبوابِ المُغلقة
لتجدَ كومة من الأسماءِ المُهترئة
حروفا لا يجمعُها جامع
فتغيب الأسماء من بقايا ذاكرتك
وتفكر في جدوى صُنع المفاتيح
:
:
لكنك
لا تخرُجُ من الغرفة
بل تبتسم

في الطريق من جراتس إلى فيينا، ١-١٢-٢٠٠٦

طبع جدتي

حين كانت جدَّتي لا تستسيغ طعامًا
كانت تحرِّكُ المِلعَقة في الطبق
كأنها تكنس شيئا
لم تكن تخجلُ أن تعلن لمضيفتها
أن طعامَهَا غيرُ مستساغ

يبدو أنني ورثت عنها شبه طبعها
فالكتابُ الذي لا أستسيغه
أظلُّ أقلب في صفحاته
كمن يعُدُّها

لكنني اليوم على غير عادة
لم أرضَ أنْ أقولَ لصاحب كتابٍ
إنَّ كتابَهُ غيرُ مستساغ

فقط أمسكت الكتاب بالمقلوب

فيرشاتس، صربيا، ٢١-١٠-٢٠٠٦

الكلب الصربي ٢

يمرُق كلَّ يوم عَبْرَ الطريق
بل كلَّ ساعة
أشفق عليه في كلِّ عبور
وسط حيوانات حديديَّة
تفترسُ دون حاجةٍ لِجُوع

في اليوم الأوَّل ظللت أتابعُه
وهو يعبر يمينًا ويسارًا
يسارًا ويمينًا
كأنه يعمل

في اليوم التالي
خشيتُ عليه من الحيوانات الحديدية
التي تكادُ تفترسُه كطريدةٍ
وفي كلِّ مرَّةٍ يُفلت

في اليوم الثالث
كدتُ أعتادُ على ما يَحْدُث
كأنه فيلمٌ يتكرَّر

في اليوم الرابع لم أرَهُ

في الخامس لمحتُ طيفَه

: :

: :

في فجر اليوم السابع
خِلتُه نائمًا على حافة الإسفلت
ظلَّ كما هو حتى المساء

هذا الكلب الصربي المسكين

ظللت أتخيَّلُ طَوَالَ الليل
هذا الكلبَ الذي شغلني لأيام:
هل له عائلة وجراءٌ يُحبها
وأنثى
وعظام يتوق إليها
وتاريخ من النباح؟

سفلايناش، صربيا، ٢٠-١٠-٢٠٠٦

الشاعر

يقول جيران الشاعر:
"إنه لا يفعل شيئًا!"

يقول الشاعر عن جيرانه:
"إنهم لا يفعلون شيئا!"

واحد لا يفهمُ الأغلبية
وأغلبية لا تفهمُ الواحد

يضيعُ الوقتُ فيما يُشبِهُ
مناظراتِ انتخاباتٍ سمجة

سميديريفو، صربيا، ١٩-١٠-٢٠٠٦

إعارة رأس

سوف أمْنَحُكِ رأسي
ليوم كامِلٍ
لتتعرَّفي على كلِّ أسراري
سأتحايلُ عليكِ كي تكوني مثلي
نظري وسمعي
وسَرَيَان أحاسيسي
وللكِ الاختيار
إما أن تعيشي يومًا كما أعيش
أو تعودي لقرار الماضي
بحثا عن أسراري

لكن انتبهي
ففي نهاية اليوم
سوف أستعيدُ رأسي منك
دون انتظار دون أعذار

احذري أن تبوحي بأسراري
أو أن تزعمي بأنك بنت رأسي
فحين أعود لرأسي
ربما أراجع
كل الدهاليز والطرق التي سلكتيها
وقد أكون قد عرفتُ عنك
أكثرَ ممَّا عرفتِ أنتِ عنِّي

في الطائرة من بلجراد إلى فيينـّا، ١٩-١٠-٢٠٠٦

الكلب السلوفاكي

رأيته على بوابة البار
يقفُ كصاحِبِها
ينظرُ للمارَّة بتلكَ العين
القديمةِ الخبيرة
التي تحترفُ كلَّ شيءٍ ولا تبالي

كلبًا يتشمَّسُ في الظل
وكلابا أخرى تسعى إليه وتتودد
كلها مغلولة من أعناقها
يجرُّها الساحبون
بهذا العُنف الرَّحيم

كلبُ البار كان
يجذب كلَّ الكلبات والكلاب
وبعضَ المارة
ولا يُبالي

قبل أن تبتعد عيني
بدا كأني رأيته ينظر في ساعته

براتِسلافا، سلوفاكيا، ١٧-١٠-٢٠٠٦

تنازل

سوف تتنازلُ عن بعض أشجارها الغالية
ونخيلها
آملة أن تقتربَ بهذا الفعل من سماحة قلوب
لكنهم لا يعتدُّون بما تنازلت
لأنَّ كلَّ هَمِّهِمْ رؤية أسنانِها
وقياسُ حجم النصَاعةِ فيها

سيتوَجَّسُونَ من العَرَق
الذي يسحُّ من جَبينِها
الذي يسير في اتجاهاتٍ يجهلونها
سيَرَوْن في خَجَلِها
سترًا لمُصيبةٍ مُرتقبةٍ
وفي امتعاض شفتيها إثر مغص
مظهرًا للشرّ

سيتصرَّفون كعُلماءِ نفس مبتدئين
يُفسِّرون حركة الأجسام
وَفقَ حركة جيرانهم والفئران
فكلُّ ما تفعله يمكن تأويله
لنهايةٍ يقصِدُونها
تمنحهم التباهي بنتيجة التجربة
وستر الغلط بنظريات معقدة

في القطار عبر بودابست إلى فيينـا، ٣-٩-٢٠٠٦

يشبه القلب

لو أنه نزل يومًا
من هناك
ليسيرَ وَسْطَ الخلق متأمِّلا
لرأى كيف يضحكون على ملابسه
وشعره وأظافره
لسمع تهكُّمَهُمْ على مشيته الغريبة
لرأى أنهم يعتقدون بأنهم
الأصلُ وما عداهم مَسْخ
لرأى كيف يتباهَوْنَ بتفاهاتِهِمُ المركَّبة
لصار في نهاية اليوم
أكثرَ حُزنًا على ما فعل
ولفكَّر في فكرةٍ جُنونيَّةٍ
نسيها في يوم تاسع
كان عليه فيه
أن يُضيف شيئًا ناقصًا
لروح وجسد هؤلاء الضاحكين المتهكِّمين
شيئا ناقصا يُشبه القلب

في القطار عبر بودابست إلى فيينا، ٣-٩-٢٠٠٦

الفقر رهبة لهم

أعطوه فأسا وزرعوه
وسط مُزارعاتٍ إفريقيات
صَوَّرُوهُ كأنه رَبُّ الحَصَاد
كان يضحك
وهو لا يعرف معنى النخلة

حمل طفلا رثًّا ليتصوَّرَ معه
دون أن يتصوَّرَ حاله
بدا مثل بارٍّ بالمُعْدَمِين
كإلهٍ رحمنٍ رحيم

صاروا ينقلونه من فقر على فقر
وهو سعيد باللعبة
التي ستنتهي به إلى هناك
إلى شماله في النعيم
حيث سيكونُ الفارقُ رهيبًا
والفقرُ الذي لم يُدركْهُ بعدُ
أكثر رهبة

نوفي ساد، صربيا، ٢-٩-٢٠٠٦

تقليد

الطويلُ الذي حاوَلَ أن يُقلِّدَ القصير
في خُطوتِهِ الرَّزينة
سارَ في خُطوةٍ عجيبة
أضْحَكَت الناظرين
لكنه رآها بسمة حَسَد
فبالغ في القصر

والقصيرُ الذي حاوَلَ أن يُقلِّدَ الطويل
في خُطوته المشوقة
سارَ في خُطوة مُهَرْوِلة
أضحكت العيون
لكنه رآها ضحكة رضا
فبالغَ في الهرولة

هكذا صارَ كلٌّ يُقلد نقيضه
طمعًا في مزيَّةٍ منه
حتى صار الخلقُ
أشباهَ أنف.ـهم

من حُمَّى التقليد

لم ينتبه أحد

إلى أن الكل يقلد

حتى صارَ التقليدُ أصلاً

وكل من لا يقلد كأنه

يسير عكس السرب

نوفي ساد، صربيا، مقهى أوبليموف Café Oblimov ، ١-٩-٢٠٠٦

بعد فوات الأوان

لا تَعَضَّ رُوحَكَ بأسنان الغير

ولا تُرِقْ دمك في أقداح السكارى

هذه ليست عظات

بل كلامٌ مجرَّب

لا يرغبُ في أن يقولَ لك

بعد فوات الأوان

وبكل برود: "نعم كنتُ أدري!"

نوفي ساد، صربيا، ٣٠-٨-٢٠٠٦

الكلب الصربي

الكلبُ الصِّربيُّ يمُرُّ في المساء متأنِّقا
عَبْرَ الساحة
كأنهُ سائح
يُخَيَّلُ إليَّ بعد لحظات
لنشاطِهِ البالغ
أنه يعمل هنا

لا أحَدَ ينتبهُ إليه من الاعتياد
إلا مَنْ يتذكَّر
كيف أن الكلابَ في بلادنا
تعلَّمتْ أن تتلفَّتَ ألفَ مَرَّةٍ
في كلِّ حركة
وأن تنبحَ على أيِّ صوت
وأن تنامَ بعينٍ مفتوحة
وأخرَى مُسبلة

يلومُني البعضُ
لأني أكتبُ عن الكلاب
لكني أشعرُ بأنَّ الناسَ تتكرَّر
لكنَّ الكلابَ لا

نوفي ساد، صربيا، مقهى أتينا Café Atina ، ٣٠-٨-٢٠٠٦

أغبياء حقا

الأسئلةُ التي نَعْجِزُ عن الإجابة عليها
لا تعني أننا أغبياء

نكون أغبياءَ حَقًّا
حين نتساهل في سَكْبِ أجوبة
دون أن نطرف

نوفي ساد، صربيا، ٢٩-٨-٢٠٠٦

الجرو الصربي

فِي الميدان
وَسْطَ جيشٍ من الفتيانِ الكُسَالى
كان الجَرْو الصَّرْبِيُّ
يُداعبُ الحسناواتِ بكلِّ نشاط
ينبح كأنه يتكلم
فتهجم عليه الحسناوات
بقبلاتٍ سَخِيَّةٍ وأحضان

الجَرْو بَدَا كأنه يعرفُ هَدَفَه
بينما الفتيانُ
يتأمَّلُونه بِكَسَلٍ أطول
وهم يفتحون عُلبَ البيرة
ويقبلونها بشراهة
كأنَّ الفتياتِ
تماثيلُ لا قيمة لها

نوفي ساد، صربيا، ٢٨-٨-٢٠٠٦

أيهما أنت؟

من يقف أمام المرآة
ليرى بعينيه كيف يبدو
أم من يقف أمام المرآة
ليرى بعيني الآخر كيف سيبدو؟

فيينـّا، دار أمرلنج- هاوس Amerlinghaus ، ٨-٨-٢٠٠٦

مرآة شر

تخيل نفسك تقف أمام مرآة سحرية
تعكس فقط صورة الشرير

تخيل أنك تقف وسط مجموعة
كل منكم يرى الآخر ولا يرى نفسه

فيينا، دار أمرلنج- هاوس Amerlinghaus ، ٨-٨-٢٠٠٦

قهوة وكلام

هلّ عليّ بوجه ميت
وأنا أجلس في المقهى هانئًا
على مائدةٍ في زاويةٍ هادئة

جلس إليَّ دون استئذان
وكراديو انفتح فجأة
يُرْغي بلا هوادة
أوقَعَ كلامَهُ على الطاولة
بين القهوة والماء
وعلى رجليّ
أوقعه مثل فوارغ رصاصات "كلاشنيكوف"

صرتُ أزيحُ كلامَهُ كلَّ حِين
لم أنطق
ولم يهدأ هو من رُغاء
حتى وجدتُ نفسي مردومًا
وَسْط جَبَل كلام ثقيل
لا يرَاه

وبينما أخلص نفسي لأنصرف
بعيدًا عن فيضان فَمِهِ الجامح
انزعج صارخًا:
"لم أكمل بقية كلامي!"
"وأنا لا أرغب أن يكون موتي هكذا!!"
رددت حاسمًا وسرتُ خفيفا

فيينا، ٢-٨-٢٠٠٦

شمس

تمنَّيْتُ أن تكونَ لي ابنة
وأن أسمِّيها "شمس"
أن أكْسِرَ بها هذا الغباء
الذي يندمُ لِخِلفةِ البنات
ويَحْنَقُ لذكاءِ بنتٍ عن وَلد
أو يتَّهمُها بسَرِقَةِ طوله

لو كانتْ لي "شمسٌ"
لكنت فخورًا بكُنيتي
"أبو شمس"
ولأيَّدتُها في أن تبقى كما هي
ولكنت سأدْمَع يوم تتزوج
وتغادر بيتي
دون أن أخفي دموعي

فيينـا، مقهى دوم- ماير Café Dommayer، ٦-٧-٢٠٠٦

في مقهى الزمان في آخن

جالس في مقهى الزمان
إلى قهوتي
مُنذ أكثرَ من نِصْفِ ساعة

مَرَّ بي عَشَرَاتُ الْبَشَر
بلغات مستقيمة
وأخرى مُتعرِّجة
برطاناتٍ ملحونة
وأصواتٍ لا تسكت

عجيب!
لم أسمع في جلستي
صوتًا لوَقْع أقدامِهِمْ
كأنهم في "آخن"
يسيرون فوق ماء

آخن، ألمانيا، مقهى الزمان Zeitcafé ، ٢٠-٦-٢٠٠٦

كأس الحديث

في المطاعم والمقاهي
تموت أشياءُ بعُمرٍ قصير:

يسقط الكأس

ينكسر

النادلة تعتذر

يموت الكأس

وآخَرُ ينتظر

يسقط الكأس

الحديث ينكسر

النادلة تعتذر

يموتُ الحديث

وآخَرُ ينتظر

ماسترشت، هولندا، مقهى الجنوب **Café Zuid**، ١٨-٦-٢٠٠٦

الكلب الهولندي

فِي كلِّ مدينةٍ زُرْتُها
كتبتُ عن كلبٍ فيها
ينبح

هذه مدينة
كلابُها أنيقة مؤدَّبة

في إشاراتِ المرور
وإشارات أصحابها
تفهم

تفعل كل ما تفعل الكلاب
لكنها أبدًا
لا تنبح

ماسترشت، هولندا، ١٦-٦-٢٠٠٦

حديث مستطيل

يُفيض في حديثٍ مُستطيلٍ

فارغ

ويُبالغ

فأضطرُّ لأنْ أصمُتَ

وأن أسمع ما يُبالغ فيه

وحين أبدأ في ردٍّ

لا يسمح لي بتأويل

شخصٌ يُفرّط في كلامه

بغفلة

يعتبرُها كرمًا

بل يزيد:

"إن السكوت من ذهب!"

فأخطف ردًّا:

"وأحيانًا يكونُ الإنصات من خيبة و...!"

يقطعُ ردِّي تيه حديثِهِ المستطيل

ماسترشت، هولندا، ١٦-٦-٢٠٠٦

آثار يوسف

آلاف الإبر يلضمنها بخيوط ملونة
لحلة غُسلت بالتنهدات
وهو لا يدري
حين يرتدي كل هذه الأصابع
يشعر بوخزات تعريه
يصبر قليلا حتى تمرَّ الخيول
يخلع الحلة
فيقرأ على صدره
آثار يوسف
ينزعج
فهو يعرف أن أباه قد مات
وأن ظهره عار مرتين
ويغمض عينيه
ليعجل بحاسَّة السمع
على عواء بعيد يقترب
يكتب بعُجالة على الرمل
ثم يُغمض عينه
وأذنيه

فيينا، ١٧-٥-٢٠٠٦

جنوب النسر

الناظرون من الجنوب قالوا:
لم يكن النسر يمسح كل
السماءِ فِي حَوْمَتِهِ
فهي شاسعة على جناحيه
كان يكتبُ بصبر مغزول
عن جُوعِهِ الدائم
عن اضطراره للعُلوِّ فوق الفريسة
التي سيلتهمُها على الأرض
يحوطها من سمائه
بسور ظِلِّه
ثم يُرفرف بجناحَيْهِ للسماء
ممنونا
على كرم الأرض
ثم لا يلبث أن يسطر من جديد
عن جوعه الدائم
وعن الفريسة
وعن العُلوِّ
وعن الهبوط

الناظرون من الشمال قالوا:
كان باستطاعته دَوْمًا أن يمسحَ الأرض
ويُعَفِّرَهَا ثم يتأمَّلها من عَلُ
ثم يفردَ جناحيه ليمسح فقط من السماء
كلَّ ما كتبَهُ من لحظة
ويتلاعَب ببقع ظله على الأرض

فيينا، ٢٢-٤-٢٠٠٦

وطن من الحناجر

وطن غنيتُ له في صباحاتِ الابتدائية
من حنجرة زاعقة
ولما شببت جهزوك لتكون بقرة

قبل النأي بقليل قالوا عنك:
"نحلة منها العسل"
بعد النأي بكثير قالوا فيك:
"نحلة تشكّ"

دين جديد لا تشاركهم فيه أيها الشريك
وطن قديم هلك لم يعُدْ لك
يسُدُّون حنجرته بغِلظةِ حَناجِرهم
ويهرسون قلبه بحُجَّةِ محبة
وطن غنيتَ له أنت في صباحاتِ الابتدائية النشيد
يُوزِّعون فيه الآنَ على بعضهم الأوسمة
كل عيد
وعلى الناس الفتاوى والغبار
وطن أرسلوا فيه الناسَ لبيوت الله
يصلون أو ينشغلون
وجلسوا هم على ناصيته في بيوت المال
يتقاسمون ويقسمون

وطن من حناجرنا الصغيرة
تركناهُ وتركنا النشيد
بات وطنا لحناجرَ غليظةٍ لا تستحي
فتفعل ما نراه

فيينـّا، ٢٢-٤-٢٠٠٦

أُسوَد

عبرتُ النهر
وحين وصلت للضفة الأخرى
كنت أسود
قلت لرفيقي على الضفة:
"الماء رائع، اسبح!"
خاف من لوني
صمت
صحتُ فيه أن يعبُر
كان يهذي والرِّيحُ تنقلُ نصفَ الكلام
وكنتُ أصيح له أن يقترب
خاف رفيقي من لوني
حتى لم يعُدْ يسمعُني
ونسِيَ تاريخَنا القديم

كل عام أذهب إلى الضفة
وأنادي وسط الخلق
أكاد في لحظة ضعف أن أعود إليه
لكني أخشى أن أفقدَ أصل لوني
وأفقد بقية حَوَاسِّي

قرية فايترزفيلد- شمال النمسا، ١٥-٤-٢٠٠٦

جامع

غبيٌّ يَجْمَعُ الأرواح دون أن يدري
يسحَبُهَا لبيتِهِ ويستريح
هذا كرسيٌّ وهذا سريرٌ وهذه منضدة
يُعلِّمُها كُلَّها الكسل

حين يدعوكَ لبَيْتِهِ
يرغَبُ أن يسمعَ من عينيكَ
بهجةً بما جَمَعَ
وأن يرى منك جملةَ مديح

يُحارِبُ الغُبارَ على الكرسيِّ
لا في رأسِهِ
إلى أن يموت

وقبل أن تفرَحَ الأشياءُ
بالمُروقِ من الكسَلِ
يظْهَرُ غبيٌّ جديدٌ أنْصَعُ غباءً
يُدَرِّبُ المقتنياتِ على البياتِ الشتويّ
وحين يَمْرَضُ
يتململُ الكرسيُّ الواقفُ ويفزَع
من سُعار قافلةِ المُقتنينَ القادِمِينَ
لجَمْعِ أرواح أفْنَتْ نفْسَها
ترَكَتْ آثارَها
لأغبياءِ الزَّمَنِ المتكِس
أرواح هدَّتْ حياتَهَا
وأعْطَتْ جسدَها بثَمَنٍ بَخْس.

فيينا، ١٤-١٢-٢٠٠٥

مصافحة جارة

جارتي التي لا تنبس
بـ "صباح الخير!"
حين نتلاقى

لا تدري أن قدميها
تصافحان قدميّ
كل صباح
على بقعة الأرض نفسها
التي عليها نسير

خلفي هي الآن
على بعد بضعة أمتار
أسمع منها على الرصيف
وقع التصافح العالي

إنسبروك Innsbruck، النمسا، ١١-١١-٢٠٠٥

علامة كبيرة في بياض صفحة

إلى جيرهارد كوفلر Gerhard Kofler

أردت أن أكتب لك

عنك

القلم الحبر توقف طويلا

عند أول الحروف

صار الحرفُ بقعة كبيرة

في بَيَاض الصفحة

حبسَتْ كلامًا كثيرًا

لك

عنك

دورنبرن Dornbirn ، النمسا، ١١-١١-٢٠٠٥

الضجيج الجميل

إلى جيرهارد كوفلر Gerhard Kofler

الضجيجُ الجميل
الذي كُنّا نؤدّيه
دائمًا في المقهى
بضحكاتٍ عالية

لن يكون بعد اليوم
إلا في رأسي

دورنبرن، النمسا، مقهى شتاينهاوزر Café Steinhauser، ١١-١١-٢٠٠٥

جبل هنا وجبل هناك

الجبل هنا
ليس من الرمل
لكنك لا تصعد عليه بسهولة
يعلق رأسك كالمشنقة
وأنت أسفله

حين تصل إلى قمته
لا تفكر في الأرض
بل تعلق رأسك
وتفكر كالعادة
في السماء
في عُلوٍّ آخر

هنا
تتفكر في الحياة
وأنت في الحياة

* * *

الجبلُ هناك
من الرمال
لكنك بجهد تحث صاعدًا

رأسك مطأطئ كأنك في صلاة
وأنت أعلاه

حين تصلُ إلى القمة
تهبط عيناك على الأفق
وتغوص قدماك
كأنَّ الرمل سيصير ماء

لا تفكر في علو آخر
بل يهبط رأسك
وتفكر في الأرض
من علو آخر

هناك
تتفكر في الموت
وأنت في الحياة

إنسبروك **Innsbruck** ، النمسا، ١١-١١-٢٠٠٥

ذراع حياة

الفَرْعُ الذي كان يتمايَلُ
مع الرِّيحِ
في حديقتي
بَتَرْتـهُ برُعونة
حوَّلتْهُ لعبةً بدائيةً لطفلي
حرَّكَهَا مرَّتَيْنِ
ثم رَمَاهَا
فخَمَدَتْ

رفعتُ عينيَّ ببطءٍ
إلى الشجرةِ المبتورة
في هَبَّةِ ريحٍ مفاجِئة
لم تُحَرِّكْ إلاّ
ذكرَى قريبةً
لشجرةٍ كانت تُلَوِّحُ لي
كلَّ يومٍ
بذِراعِ حياة

فيينـا، ٧-١٠-٢٠٠٥

أكياس فِشار

قبلَ عِلْمي بكثير
اعتقدتُ أن الإسبان
مرّوا بقلعة المَهديَّة

بعد عِلْمي بكثير
شاهدتُ أنهم مَرُّوا عليها
بأقدامٍ من رَصَاص
بحثًا عن ثورٍ مقدَّسٍ
بلا علامات

بعد عِلْمي بكثير
سَأفهمُ أن رُءُوسًا أكثرَ جَفاءً
وقلوبًا أوفرَ غِلظة
ستُلَمِّعُ تاريخَها الحديث
بأكياسِ فِشار
وبالوناتٍ ملوَّنة
وفيضٍ غزيرٍ من الألعابِ الناريّة

المهدية، تونس، ١١-٩-٢٠٠٥

عادة جديدة

كلَّما أوقدتُ شمعة
ثبتُّ عينيَّ على لهبها
وتجاهلتُ كل ما تضيء
رُحت في زمن النار
أتخيل نخلاتٍ ليس لهُنَّ
أرْجُلٌ يَهْرُبْنَ بها
يحترقن في شُموخ نادر
حتى العُرجون الأخير

المهدية، تونس، ١١-٩-٢٠٠٥

بحر بلا أسنان

ما زال يرضع من الشمس ليلا
ومن القمر نهارًا
بحر بلا أسنان

حين يبكي
يجف
فيقدد الأسماك بثورا
ويجعل من الحيتان أمشاطا
في الرمال

بحر كلما تقدم في السن
تنازل عن الشمس والقمر
وصادق الريح
عشق مغامرات القراصنة
والمستكشفين الجواسيس

يقهقه راميًا برا
ويشهق بالعا جزيرة
لكنه في نهاية الدرب
يغوصُ في الأزرق
جاهلا الفرق بين البحر والسماء
فيخف ويجف
ويموت بحرًا بلا أسنان

المهدية، تونس، ١١-٩-٢٠٠٥

فزع الخريف

كلُّ نسر جارح
مَرَّ من هنا
أفزع بظِلِّهِ النمل
في زمن الخريف
فارتبك في لمّ الخزين

صار يرتعب من ظل نحلة أو فراشة
حتى السحابة حسبوا حسابها
فلم يظهروا في أي غيم

المهدية، تونس، ١٠-٩-٢٠٠٥

جنون جهة جوانتانامو

العالم يجن
ينحرف جهة جوانتانامو
ولا يحفظ خط الرجعة
يعود مع الطائر الخطأ
مع طائر شره شرس
يأكلُ معه جيفة
فيتعوَّدُ عليها

العالَمُ ينهشُ رُوحَ البشر
ولحمَ البشر
ويعلّبُ لنا العَظْمَ
في أخبار
ونحن ننتظر

ننتظر بومة الشمال
وهدهد الجنوب
وننتظر اللقلق بطفلٍ

جديدٍ مُنتظَر

حين يأتي الطائرُ الغريب

بشراهته وشراسته

يُحلق أمامنا في عين الشمس

فتنكسف مرة وتنخسف مرات

وتختلف رؤى الأعين

يتقاتل الخلقُ على ما شُبِّهَ لهم

على نوع الطائر

وعلى شكل جناحيه ومنقاره

على ريشه وأسلوب حومته

وعلى صوته وفرائسه

ونوعه وعمره

و... ..

العالم ينحرف جهة جوانتانامو

دون أن يدري

المهدية، تونس، ٥-٩-٢٠٠٥

قطع غيار

تحرق نفسها في الشمس
تتمنى لونه

يحرق ذهنه تفكيرا
يتمنى قوة جسده

ابنتهما لا ترفع عينيها من عليه
تتمنى براعة رقصه

جَدَّته تبتسم له طوَالَ الوقت
لترى نصاعة أسنانه
..
..
عشرات بأمنيات
ينتظرون قطعًا منه
..
..
لكنْ لا أحَدَ يُريدُه
كاملا كبشر
هذا الإفريقي القديم

المهدية، تونس، ٤-٩-٢٠٠٥

خناجر وحناجر

يُصلّون فوق الماء
دون سجَّاد
ترفعُهم موجة وتخسف بهم أخرى
لا يرغبون في شاطئ
ولا حياة بر
لكنهم أيضًا لا يعرفون الصيد
ينتظرون من السماء أن تمطرهم
بشاورمة وطيور مشوية
و"شيبس" و"كِتشَب"
وزجاجات كوكاكولا

يذبحون في مسيرتهم
قرابين من ورق
ويقطعون بخناجر وحناجر
ما تبقى من حروف
يلفونها تبغا يدخنونه
قبل الغروب

حين يجن بهم الليل
تأتيهم أوَّلُ فكرةٍ حمقاء
بتجريب لحم البشر

المهدية، تونس، ٤-٩-٢٠٠٥

الكلب المقدوني

الكلبُ الذي ينبحُ الآن في الخارج

لا يُدرك أنني أكتبُ عنه

كأنني أعني أنه لو يُدرك

لفعل شيئًا آخر

لابْتَسَمَ مَثلا

أو زاد من نُباحه

أو توَقّف

.. .. ..

.. .. ..

الكلبُ ينبح

ويعرف لِمَ ينبح

وأنا أكتب

ولا أعرف لِمَ أكتب

ستروجا، مقدونيا، ٢٥/٢٦-٨-٢٠٠٥

معرض

مَلسَاءُ هي
في هذه اللوحة التي يتأمّلونها
لكنهم يُبرزون بأعينهم نَهْدَيْها
وتفاصيل ظِلالِها
يخلعون عنها ملابسها في خيالهم
ثم يحلمون

مَلسَاءُ هي
في هذه اللوحة التي يعشقونها
بينما هي تضحك على لوحة بشر
يُحَوِّمون حولها كالدبابير

تتأمّلُهم كُلَّ يوم
في معرض دائم مجّانيٍّ
يأتيها تحت قدميها
يدفع زوّارُه ثمنَ كَوْنِهم
لوحاتٍ عليها تتبدل
.. .. ..
يومًا صَعِدْتُ إليها خُلْسَة
طبعتُ نفسي وَشمًا على ذِرَاعِهَا
فهدًا صرتُ كبقعة حبر
وصرتُ مَعَها أتأمّلهم نهارًا
وفي الليل أنزل من ذراعها
إلى سُرَّتِهَا لأنام
منتظرًا معرضَ البشر
في اليوم التالي

ستروجا، مقدونيا، ٢٥-٨-٢٠٠٥

هي والتفاحة

حائرًا كنتُ
والفتاةُ راحَتْ تعرَّتْ
أمامي- لا تدري
أرسُمُ لها لوحَتَها

نَحَّيْتُ فرشاتي
مزجْتُ الألوانَ بيدي
حملتُ تفاحةً لها
بصْماتُ أصابعي لَوَّحَتها

حين التفتُّ نحوَها
لأعودَ لرسمِها
هي والتفاحة
كانت قد قضمَتْ
نصفَها الذي لها

قبل أن يفورَ غضبي
رأيتُ إلى أصابعِها وإلى فمِها
الألوانَ تسْري

مَدَّتْ جِيدَها الملوَّن
هزّتْ شعرَها ليعودَ إليها قوسُ قُزَح

بينما كنتُ أمْسَحُ
أصابعي الملوَّنة
عِندَ صَدري

ستروجا، مقدونيا، ٢٥-٨-٢٠٠٥

حروف العائلة

الأب
حرف ألف

الأم
حرف واو
حرف عطف

الجدة
حرف صاد
صورة صغيرة على حائط مشروخ

الجد
حرف عين
عكاز قديم مكسور الطرف

أنا
حرف نون كوفي
أنوء بحمل النقطة
أروم أن أصير راء

فيينا، ٧-٨-٢٠٠٥

تمشي على هَوَاهَا

تجلس أمام مرآة ساعة
تراقب نفسك في كل حركة
تتلصص على ما تفعله
خُلسة

ما لا تدريه
أن صورتك التي في المرآة
حين لا تراها
لا تتحرك كما تفعل أنت
بل تمشي على هَوَاهَا

تعُودُ لتقليدِكَ
حين تنظر إليها
فقط

فيينا، مقهى لوكس Café LUX ، ١١-٧-٢٠٠٥

سوسن

حين تسير في غابة
تنتبه لجمال السوسن
والطير
لكنك في المدينة
لا تعير الشجرة انتباهك
تزعجك أوراقها المنثورة

في لامبالاة
تعبر كل وردة في الطريق
الإشارة الحمراء توقفك
عينك لا تنزل عنها
حتى تخضّر

خُضرة الإشارة لدى البعض
أحَبّ من خضرة أي غابة

إنها طبيعة المدن
وطبيعة اللهات

فييناّ، دار أمرلِنج- هاوس Amerlinghaus ، ٢-٧-٢٠٠٥

ساندرا

كنت أنتظر ساندرا
في مقهى أماديوس
تأَخَّرَتْ
لم أعرفُ كم الساعة

صرفتُ بعضًا من الوقت
على وجوه الجالسين والجالسات
وعبر الزجاج
في حركة الشارع يوم سبت

في نفس المقهى
في الركن البعيد
كان هذا المتوتر
ينظر كل ربع دقيقة لساعته

لم أعد أنظر لجالس أو جالسة
ولا للشارع
بل لهذا المتوتر البعيد
بدأت أفكر في الساعة
ساعتي التي نسيتها
وفي ساندرا التي تأَخَّرَت

فيينّا، دار أمرلِنج- هاوس Amerlinghaus ، ٢-٧-٢٠٠٥

لون البشر

ببهجةِ ودَهْشةِ الطفولة
يستطيعون أن يستوعبوا
كلَّ ألوان الدنيا

وفي فهم ألوان البشر
يتعسَّرون كثيرًا

فييناَ، مقهى آيليس Café Eiles، ٢٤-٦-٢٠٠٥

فشل في فيينّا

هنا أفشلُ دائمًا في تمييز

طريق سير الدراجات

وطريق سير المشاة

فأسير في طريق

ضيق جدا

.

.

فوق الخط

فيينّا، مقهى آيليس Café Eiles ، ٢٤-٦-٢٠٠٥

ندم أهل المدن

هل صرتُ حقًّا من أهل المدن؟

بعد أن غادرت المقهى
وأنا أفتح باب شقتي
ندمت

السيدة الجالسة إلى جواري في المقهى
بدت حزينة وهي تقول لي:
"عيد ميلادي اليوم!"
قلت: "عيد ميلاد سعيد!"
صمتَتْ
ثم كررت بعد دقائق:
"عيد ميلادي اليوم!"
ناديتُ على النادل
قلت له: "مشروبها على حسابي!"
حين وصل ووضعه أمامها
نظرت إليه باستغراب

فأومأ برأسه ناحيتي
رفعتُ كأسي تجاهها
قالت ما لم يصل إلى مسامعي
وبدتْ أكثرَ حُزنًا

غادرتُ المقهى
ونسيت المرأة

وأنا أفتح باب شقتي
تذكَّرتُ وَجْهَهَا المُريح
وبدوتُ أكثرَ حُزنا منها
السيدة الوحيدة تمنَّتْ
من أحَدٍ ما أن يُشاركَهَا الكلام

فيينا، دار أمرلنج- هاوس Amerlinghaus ، ٢٣-٦-٢٠٠٥

حَمَام فيينّا

معظم حَمَام فيينا

لا يطير

كأنه بط

إن طار

لا يُطِلْ

إنه حالُ المُدُن الهادئة

التي لا تفزع الحَمَاماتِ

تحوّلها مع الوقت

إلى بط

فيينا، دار أمرلِنج - هاوس Amerlinghaus ، ٢٢-٦-٢٠٠٥

خط مستقيم

"الخطُّ المستقيم هو أقصرُ طريق بين نقطتين"

المدنُ الجميلة

تستدير

تنحني

تتعرَّج

تتجنب الخط المستقيم

وتكره اللّهاث

فيينا، دار أمرلنج- هاوس Amerlinghaus، ٢٢-٦-٢٠٠٥

بريق

كلُّ البريق
الذي تراه هنا مبهرجًا

رُبَّما يعني
أنهم سحبوا المصابيح
من أمكنةٍ أخرى
دُونَ رَدّ

فيينـا، دار أمرلنج- هاوس Amerlinghaus، ٢٢-٦-٢٠٠٥

أفكار رجالية

هذا المقعد الفارغ

ينتظر هذه السيدة الجميلة

لتطيلَ الجلوس

هذا الكوبُ يتوسَّلُ لشفتيها

هذا الهواء يحسد سيجارتها

هذا الظل الذي لا يفارقها

يشكر النور

.. ..

.. ..

وهكذا

.. ..

إنها أفكار رجالية بالتأكيد

لكنها ليست سيئة

فيينا، دار أمرلنج - هاوس Amerlinghaus، ٢٢-٦-٢٠٠٥

لُهاثٌ

المَدينةُ التي لا طينَ فيها
لا تَزرَعُ شَجرةً
المَدينةُ التي لا مَطرَ عَليها
لا تُحيي نَبْتَةً

المُدنُ التي تزرعُ الإسْفَلتَ
تَحصُدُ اللُّهاثَ

المُدنُ التي تَشهَقُ بِالعُلُوِّ
سَيصيرُ المُتَرَجِّلونَ أسفلَها
مِثلَ حَشَراتٍ هائمة

فيينّا، دار أمرلِنج- هاوس Amerlinghaus، ٢٢-٦-٢٠٠٥

مدن تعشق الأقدام

لا تحنق على هذا العجوز
الذي يعبر خطوط المشاة
ببطء شديد
يعجِّل جسده الواهن
حتى تراه يكاد يقع

لا تدع الوقت نسرًا
فوق رأسك
ولا تنس أنه ما زالت
بعض المدن
تعشق الأقدام
وتكره الإطارات

فيينا، دار أمرلنج- هاوس Amerlinghaus ، ٢٢-٦-٢٠٠٥

تقليبٌ

البَعضُ يُقَلِّــبُ الصَّفحاتِ

لِيَنسَى

البَعضُ يُقَلِّــبُ الصَّفحاتِ

لِيَتَذَكَّــر

البَعضُ

يُقَلِّــبُ الصَّفحاتِ

فيينـّا، مقهى فيست-إند Café Westend ، ٢١-٦-٢٠٠٥

القاهرة

تُفتح نوافذ فيها
وأخرى للأبد مغلقة

هَوَاءٌ بالغبار يسكن محجّبًا
وهَوَاءٌ فيها لا يسكن

فيينّا، مقهى فيست-إند Café Westend ، ٢١-٦-٢٠٠٥

الظل في فيينّا

فيينـّا
المدينة الوحيدة
التي تفقد فيها ظلك
إنْ أطلتَ السَّيْرَ فيها
أو أبطأتَ
كأنَّ الظلَّ
يغوصُ في طُرُقاتِهَا ويبلى

إنْ لم تنتبهْ هنا لظِلِّكَ
ضَاعَ مِنكَ فيها

تمهَّلْ كُلَّ حِين
في فيينـّا
ولمِلِمْ شتاتَ ظِلك
لكنْ تأكَّدْ أنك لم تلملم
في ظلك
بُقعًا من ظلال الآخرين

فيينـّا، مقهى أم هوي- ماركت **Café Am Heumarkt** ، ١٠-٦-٢٠٠٥

ما زِلتُ أُفَكِّرُ

حينَ وَصَلْتُ إلى هَذِهِ المَدينةِ
قالَ لي فَريقٌ:
ابنِ في هَذِهِ المَدينةِ خَمسينَ مِترًا
إنْ أردتَ أنْ تَعيشَ - هُنا

قالَ لي فَريقٌ آخرُ:
احْفُر في هَذِهِ المَدينةِ خَمسينَ مِترًا
إنْ أردتَ ألاّ تَموتَ - هُنا

بَينَ العَيْشِ والمَوْتِ في هَذِهِ المَدينةِ
ما زلتُ أُفَكِّـرُ

فيينّا، مقهى أم هوي- ماركت Café Am Heumarkt ، ١٠-٦-٢٠٠٥

اثنان

الأوَّل

خرَجَ من مكانِهِ

باحثًا عن الجنة

الثاني

كان يبحثُ توًّا

عن الوطنِ الذي غادَرَه

الأول

عاد بعد نصف قرنٍ

يتحدَّثُ عن الجحيم

الثاني

عاد بعد نصف قرنٍ

يبحث عن شنطةِ سفرٍ جديدة

فيينا، ١٠-٦-٢٠٠٥

سقوط

سقط الرجلُ الشابُّ
على استواءِ رَصِيفِ الميدان

عاد يتذكَّرُ آخِرَ مرَّةٍ سقط فيها
منذ خمس وأربعين عامًا
كان في الخامسة
حين تعثر في حَجَر
قام يومها خفيفا يضحك
رغم الجروح والتسلخات

يتلفَّتُ الآن
فلا يجدُ شيئا على الرصيف
يُعثِّر
ينتابُه خجَلٌ عريض
وهو يبالغ في تنظيف بنطلونه

لم يكن حقيقة مهمومًا بالانساخ
ولا بالألم الشديد والتسلخات

بل من ألف عين ثقيلة
تنظر عليه
كنتُ أنا عينًا منها

القاهرة، ١-٥-٢٠٠٥

تسول

العجوز بقُفَّتِها

تتسوَّل نحو المقهى

تقف

فيقف أمامَها آخَرُ بعصا

يضع يده في جيبه

العجوزُ بقفتها تتوقع صدقة

فترفع كفها

يخرج صاحب العصا يدا خالية

يرفعها أمام العجوز

متوقعا "حاجة لله"

يقفان صامتين أمام بعضهما

بيدين تنتظران

في الفراغ

ممدودتين

ما زالا يقفان كتمثالين

وأنا أنتظر

عند الميدان

تعيد العجوز قفتها ليدها الفارغة

يعيد الرجل عصاه ليده الفارغة

ويتغير المشهد

الإسكندرية، مقهى ديليس Café Delice، ٢٨-٤-٢٠٠٥

نصائح الجدّة

نصائحُ جَدَّتي لي وأنا صَغيرٌ
كانت:
"كُلْ جيدًا حتى تكبَر!"
وكَبِرْتُ
"اشـرَبْ ماءً كثيرًا!
لا تَسْهَرْ ولا تُدَخِّنْ؛
حتى تَعيشَ أطول!"
سَهِرْتُ ودَخَّنْتُ
وما متُّ

لكنّي في مساءِ عُمرِي
جلستُ أمامَ التليفزيونِ المفتوحِ مرّةً
لأشاهدَ أحذيةً ثقيلةً
تُبَـلِّطُ العالَمَ
لأسمعَ أرقامًا لانهائية
لمن صَعِدُوا تَوًّا للسَّـماءِ
في سِـباقاتِ الدَّفـنِ السَّريع

مِن ذلكَ الوَقتِ
أصبحتُ لا أكادُ أنام

على قناةٍ أُخرَى
كنتُ أحْـتَسي ما شاهَدْتُ بلُغَةٍ أخرَى
ثم بلغةٍ أخرَى
ثم أزدردُ بعينيَّ

صارَ وَجْهِي وَمَضاتٍ تتبدَّلُ
ولمْ أنَـمْ

الإعلانُ الذي كان يفـْلِجُ النَّشَرَاتِ
ظلّ ينصَحُني بطيّبٍ للبطنِ
ومُنعِشٍ للمِزَاجِ
فكيفَ إذًا أنام؟

يا جدّتي
كَبِرْتُ في آخِرِ المَسَاءِ
أكثرَ مِمَّا توقّعتُ
لأُدْرِكَ أن الجبابرةَ الصِّغَارَ
هَبُّوا لِنَحْتِ الأرضِ بِمَنْ عليها
وحَرْثِ الفَضَاءِ
ليُنعِمُوا علينا بأخبارِ الأحذيةِ الثقيلةِ
الطازَجَةِ
التي تبلّطُ العالَمَ

يا جدّتي

لا أنامُ الآنَ:

من عبَثِ الأكلِ الفائضِ هنا

والجُوعِ هنا

والشَّـرَابِ الفائضِ هنا

والعَطشِ هنا

والخبرِ الفائضِ هنا

وهناك

يا جدّتي

لا أحَدَ يُريدُ أن يَفهمَ الخبرَ

الوجوهُ تتكالبُ

على زُجاجِ الفتارينِ

وتتعلّق مِثْلَ بندولِ ساعة

وجوهٌ

ما زالت تبحثُ لها

عن أحذيةٍ مناسبةٍ للبثِّ الفَوْرِيّ

فيينا، ٢٨-٠٣-٢٠٠٥

محاولة إغراق فاشلة

كان يُحَاوِلُ أن يتوغَّلَ في رأسي

عنوة

أوصدتُ كلَّ الأبوابِ والمنافذ

تركتُ له مَمَرًّا ضيقًا

بجوار الأذُن

كنتُ أتمنَّى أن يخرجَ نهائيًّا

من رأسي

لكنه ظلَّ يلفّ هناك ويدور

وأنا أصبُّ عليه النبيذَ

كاللعنات

أردتُ أن أغرِقَهُ

لأُريحَ رأسي منه

فكان الملعونُ يحتسيه

ثم تُدوِّي قهقهاتُهُ

لترتجَّ كلُّ أفكاري

جراتس، النمسا، ٢-١٢-٢٠٠٤

مشغولا بلم هداياها

كانت الطائرة تهبط

وقلبي وجسدي يُحلقان

متوقعًا حِضنها القويَّ الناهد

وضغطتها الحميمة على الصدر

وقبلاتِها المؤقتة

كنتُ أفكر في شراسة ضباط المطارات

ومكر رجال الجمارك

في تعطيل سخيف

يجعلُ القلبَ يغوص في الهمّ

ليتغيَّرَ الوجهُ الفرحان

فتظن الشراسة

أن طائرًا قد وقع

ويأمرُ الجماركة بفتح قلب الشنطة

وبَعْثَرَةِ رُوح الهدايا

وتشويهِ كل زينة جهَّزتُها لها

كانت الطائرةُ تهبط وقلبي يُحَلِّق

وَجْهُها قبل السفر
يتسرَّبُ لذاكرةِ القلب
وقد بللتْ منديلها
بعُيون الوداع
واليوم بعِطْرِ يدَيْهَا
من طُول انتظار

كانت تلوِّحُ لوصولي
وكنت مُحرجًا في لمِّ فرحي المنثور
مشغولا بلمِّ هداياها
التي لوَّثتها أيدٍ عكرت رونق لقاء

فرانكفورت، ألمانيا، ١٠-١٠-٢٠٠٤

إشارات فرانكفورت

يمكنك أن تخضِّرَ الإشارات الحمراء بالنظر

وتسير

أو تظنَّ أنّ الإسفلتَ اخْضَرَّ

فتطيل الوقوف

أو تنامَ مُحتضنا عمود نور

في عرض هذه المدينة

دون أن يهتمَّ بك قلب

فرانكفورت، ألمانيا، ١٠-١٠-٢٠٠٤

حلم في مقدونيا

ذهبت إلى سريري متأخرًا
ففقدت أوَّلَ الحُلم

صحوتُ مبكِّرًا
ففقدتُ آخرَ الحُلم

حاولتُ أن أتذكَّر
خيطًا يُعيدني

لكن لم يتبق لي
سوى كلمة "حُلم"
بلا حُلم

ستروجا، مقدونيا، ٢٨-٨-٢٠٠٤

لا تفرط

لا تفرِّطْ في أشجارك
فيضيعَ منك الظلُّ
والنَّوَى

لا تفرط في ظلك
فيروح منك الجسد
وتتوه منك الروح

ستروجا، مقدونيا، ٢٦-٨-٢٠٠٤

قراءة حريق

حين يحوم العالم في

فضاء رأسي مثل طائر

أرتاحُ

لأنه سيهبط يوما على غُصنٍ ما

في أدغال رأسي- مقروءًا

وحين يخترقُ العالمُ

فضاءَ رأسي مثلَ طائرةٍ

بذنب طويل من دخان أبيض

لا أرتاح

لأني لا أجيد قراءة الحريق

فيينا، مقهى شبرل Café Sperl، ١٩-١-٢٠٠٤

حمار

بيدَيْنِ خَشِنَتَيْن

سَحَبَ الرجلُ الحمارَ

من الظِّلِّ إلى لظَى الشمس

بيدين خشنتين

على ظَهْرِ الحمار

هَبَدَ جوالاً ثقيلاً كبيرًا

وسبَّه وسبَّ أباه

:

جوالاً ثانيًا

:

ثالثًا

:

لم أعُدْ أرَى قوائمَ الحِمَارْ

قرية فايترزفيلد- شمال النمسا، ٣-٩-٢٠٠٣

على ضِفَّة رُضَابِهَا

سآمرُ كفي إلى صَدْرِهَا
على ثَـدْيـهَا
فوقَ نبضِها
وأمَسُّ نَدَاهَا
وعِطرَ جـيدِهَا المشدود
أزيحُ بيَدِي ملابسَهَا الحَيَّة
القليلة
لتنعُسَ قريبًا من هِيَاجـهَا
أقـرَأ بكَفي حَبَّة العِنَـب
وسُرَّةَ الرُّمَانِ
وطرَاوَة الزَّغَبِ
ونَغـْمَة الرِّعشة
أرُومُ بـهَا
بكَفٍّ نَحَّاتٍ
فترُومُنِي
بكَفٍّ خـَوْخَةٍ
أَرُوحُ حتى ألتـئِمَ فيها
أزاويها
أنحني على هَوَاها
على ضِفـَّةِ رُضَابـهَا

أَشـْهَقُ كل ما بيننا
وتشهَقُ كلّ حُروفِ الهاء
حرفٌ يُفـْلِتُ
منها لي
ومِنّي لها
لها لي
لإلهائي
حرفُ هَاءٍ يتـَهَادَى
في فضاءِ سَريرِنَا الفوضويِّ
المَعروقِ بنـَدَى العِطْر
تحتَ النافذةِ المُوَارَبة
على حُمْرَةِ الغـُروبِ
وحُمّى الغياب
هُناكَ أنسَى اسْمِي
ومَعْنَى ردائي

يدِي الآنَ هُـنا
أوْ هُـناك
لا أدرِي
كلُّ ما بيدي
ما بيدي
الْتـأَمَ في قسمتي
ونروحُ في ليلٍ ينـَامُ بنا

فيينا، ١٥-٨-٢٠٠٣

مَحَطّةٌ عاريةٌ

ظُهْرَ هذا اليومِ الحارِّ
كنتُ أقفُ
على محطةِ ترامٍ لا يأتي
محطةٍ عاريةٍ
لا ظِلَّ فيها

جاءَ هذا الكلبُ كثيفُ الشعرِ
وحيدًا يلهثُ
دارَ حولي مرتين
كأنه يربطني بحبل
قبل أن يجلسَ بالضبط على ظِلِّي

كأنه ثبّتَني في مكاني مرتين
صرتُ أتأمّلُه
لسانُه الورديُّ ينز بقعًا صغيرة
كَلَوْن الظل

ما زال يلهث

وأنا أنظر إلى ترام لا يأتي

وأفكّر في رسم لوحة

لإنسان وكلب على محطة ترام

مشبّتَيْنِ ببعضهما البعض

بظلٍّ يمتدُّ رُوَيدًا

ينتظران معًا شيئًا ما

كنت أفكر كيف أرسم "رُوَيدًا" هذه

فيينا، ٥-٧-٢٠٠٣

يمكنك

يُمكنك أن تجعل نظرتك أشدَّ حِدَّة من سبة
لكن هل سيراها من تعنيه؟

يمكنك أن تبحث طوالَ عُمرك
عن صورتك في المرآة
لكنك لن تراها لأنك لا تريد

يمكنكما أن تجلسا معًا متقابليْنِ
داخل نفس العربة
رغم ذلك فأنتما تسيران في الاتجاه نفسه

يمكنك أن تجلس عند قبر وتضحك
افعل ذلك
لأن من تحت الثري يحن لصوت الضحك

فيينا، ٥-٧-٢٠٠٣

انتظار

سنقف معًا طويلا
وننظر
ونأمُل
سنسمع أكثرَ من اللازم
ذاك الذي يقف خلفَ الميكرفون
يعِد بتغيير
كلِّ شيء
..
..
ثم نسير مُتفرِّقين
إلى بيوتنا
أو مقاهينا
لنكرِّرَ ما رأينا
وسمعنا
ونحن نحتسي القهوة المُرَّة
أو البيرة والنبيذ
لننسى آمالنا
التي وقعت مِنَّا أثناءَ الطريق

فيينا، ٥-٧-٢٠٠٣

أمل النسر

هو ذا النَّسْرُ المعلَّقُ في العَلَم

يرفرف حبيسًا ملصوقا

يتمنى لو كان مثل بعوضة تافهة

حطت من لحظة على عينه

ثم على منقاره الجبار

ثم طنت

وطارت

فيينا، ١٩-٦-٢٠٠٣

دحرجتك

"دحرجتك أمامي وصرت ألهو بك

وأنا أحبو

وكان الطريق مائلا

استقمت فرأيت أفق النهاية في الأمام

وخلفي أفق

كنت في منتصف الطريق

أغني كي أصير اثنين"

فيينا، ٦-٦-٢٠٠٣

حرفة الإله

لَدَيْهِمُ الآن زادٌ من الشر
يكفي لِحَرْق أرغفةِ نصفِ العالمِ
لسَكْبِ كلِّ النبيذِ ومَحْو المَاءِ
زادٌ يكفي لسَحْق كلِّ الريش من الفضاء

لديهم زادٌ يكفي لِخَلْق وَلائِمَ للضباع
وزادٌ أكبرُ من الكلام الأحمر
لدَيْهِمْ مُشكلةٌ في دَفن نُفاياتِ أفكارٍ ترَاكَمَتْ
بَنَيْنَا عليها بُيوتًا مؤقتة
فدامَتْ

صِرْنَا نُصَلِّي لأننا ما زلنا أحياءً فحسب
صلاةَ رُعبٍ بأعْيُنٍ أصبحت
تخشى شرَّ الأرض قبل قدَرِ السماء
ولا نفهمُ لِمَ غيَّرَ الإلهُ حرفته
من الحساب وكيل الأعمال
إلى المحاسبة وإدارة الأعمال

صِرْنَا نركُضُ على الأرض
ظَنَنَّا أننا أسرعُ من عزرائيل
صرنا نقرأ فتمحى السطورُ وتبهَتُ الأسماء
وننظرُ فتميع الصُّوَر
ويبقى العَتَهُ في رُءُوسِنَا كالدُّود
صِرْنَا نَحْذَرُ بعضنا بسبابات كالسلاح

ما زال لديهم الآن زادٌ من الشر
يكفي لِمَحْوِ البحر
وحَشْوِ الأفواه بالسكوت
وحَثِّ الأيدي على التصفيق
وحضِّ الناس ضدَّ الناس

ولم يعُدْ لدى هذه القلة
إلا قليلٌ زادٍ من لهب
نَسِيَهُ القراصنةُ والمُولعون بالحَرْب
منه يرَوْنَ ويقرءون
وعليه يخبزون
ومنه نارٌ دفءٌ لشتائِهِمُ البطيءِ
وكتاب

فيينا، ٦-٥-٢٠٠٣

وسينفخ الله في النار

سَتَفْزَعُ كلُّ أجنحةِ العصافيرِ والحمائم
ستحومُ في غَيْمِ البارود
تتَّسخُ في الرِّعشة
لن تجدَ أغصانَها عند الهبوط

قطعَها الحطابون الرعناء
لأعلى الجبل رفعوها
قُربانَ رضا

العصافيرُ ستلتهمُ الحمائم
وسيلتهمُ البارودُ العصافير
وسيَهُشُّ الحطَّابون الغيم
بأيادٍ خَشِنَةٍ مجرَّحة
قبل أن يزلوا
في أغصان القربان المولع

ثم سينزلُ اللهُ بطيئًا
وينفخُ في النار

قرية فايرزفيلد- شمال النمسا، ٢١-٤-٢٠٠٣

أبيض في خِفَّةِ الملائكة

كانَ يصعدُ في قَيْظِ الجَنُوبِ
في خِفـَّةِ الملائكة
يَحْبُو في الأعالي
لا ينوي الهُبوط

وكُنـَّا نَمُوتُ بِـبُطْء

:
:

أمشي عليهِ الآن
أدوسُ هذا الأبيضَ الآنَ
أرَاهُ هَشـًّا تافهًا
أثأرُ هُنَا هُنَـاكَ
وأَرْتَـاحُ لقوَانِينِ الانقلاب
حِينَ تندعك السماءُ
تحتَ النِّعَالِ هُنَا
لظُلمِهَا هُنَاك

فيينا، ١٣-٣-٢٠٠٣

عند العتبة

يقَـعُ مِنْـكَ المِفتـَاحُ
على البسطة
يرنُّ في الظلام
تـُقـَرْفِصُ
تتحَسَّسُ الأرْضِيَّةَ
الباردة لتـَلْمِسَ بأنَامِلِكَ
أشياءَ لا ترَاهَا
ليسَ مَعَكَ عُودُ ثِقابٍ
فأنتَ لا تـُدَخـِّنُ
معَ ذلكَ صِحَّتـُكَ ليستْ أفضلَ منَ الآخَرِين

يَطُولُ الوَقتُ
وَلا أمَلَ ببَصِيصِ نـُور
تتعَرَّفُ على عُقـْبِ سِيجَارَةٍ
في العَتـَمَة
وعلى حَجَرٍ صَغِيرٍ
خـُبْزَةٌ ناشفَة
وبقايا جَريدةٍ مُكَرْمَشَة

تـُعَاوِدُ البَحْثَ
تـَهْبـِطُ على رُكْبَتـَيْك
البَحْثُ الآنَ بكُلِّ الكَفَّ
تـُطَبْطِبُ على البسطةِ
تمَسَحُهَا يمينًا ويسارًا
فتـَشـُمُّ رائحة غـُبَارٍ

ماتَ بعيدًا عن الشمس
تتأفَّفُ وتَلْهَثُ
مِنْ وَضْعٍ غَيْرِ مُعْتَادٍ
ثُمَّ تقفُ يائسًا
تنفُخُ في عَتَمَةِ الظَّلامِ
أمَامَ بَابِكَ المُغْلَقِ

تتذكَّرُ أنَّ تحتَ قدَمَيْكَ
مَداسًا لم تَلمِسْهُ
ترْتَدُّ خُطْوَةً للخَلفِ
وتهبطُ كفُّكَ التي ترَى لكَ
بَعْدَهَا تستقيمُ
ليكونَ همُّكَ المُحْلِقُ معَكَ في الظلامِ
إدخالَ المَعْثُورِ عليْهِ في خرْمِ المِفتاحِ
يَدُكَ اليُسْرَى المُترَبَة
تتحسَّسُ فرجَ الكالون

تَعْبُرُ العتبة
أنتَ الآنَ في الدَّاخِلِ
حِينَ تُضِيءُ النُّورَ وتَزُمُّ أجفانَكَ
تنظُرُ إلى هذا المِفتَاحِ الصَّغيرِ
تكتشفُ مَدَى اتساخِ كفَّيْكَ ورُكبَتَيْكَ
ثُمَّ فوْرًا تَنْسَى

فيينا، ١١-٣-٢٠٠٣

محاولة

في كلِّ مرة

أكاد أتذكّرُ

ما غار في ذاكرتي

وأغلق أجفاني-

يوقظونني

فيينـا، ٢٩-١٢-٢٠٠٢

لا

بعد أكثر من أربعين عاما

انتبهت للمرة الأولى

أنني في لغتي

كلما نطقت: نعم

أغلقت فمي

وكلما نطقت: لا

ظل فمي مفتوحا

فيينا، ٢-١٢-٢٠٠٢

راحة

لا تقرأ كُلَّ المكتوب
ولا تتبع كُلَّ المقروء
دَعْ راحة للشك والأسئلة
حتى يهدأ بالك ويرتاح

تعلم كيف تخرج
من باب كُلِّ كتاب
بقلبٍ مُرَصَّع كالسماء بالنجوم
وبعلامة استفهام
ولو واحدة
قبل أن تنعُسَ في الكلام
وقبل أن تصعد الرُّوح
بلا مفتاح
لسماء ليس فيها سؤال من نور
يفتح

فيينا، ٤-١١-٢٠٠٢

منذ

مُنذ كلام كثير ثقيل كُتِبَ
وخطاباتٍ انقطعت
أو ضَلَّت
منذ أن بدأ خَطُّ الشعر
يفقِدُ حِبْرَه
ويبهت
منذ أن بدأت الأسماء
تغورُ في الذاكرة
وأعصر على عيني لأراها
منذ بدأت انتبه
لظل عقرب الثواني
وهو يقفز كالبرغوث
منذ أن بدأت انتبه
لكلام يضيع
وشعر يبهت
وأسماء تغيب عن العين

بدأت أنتبه
لتكرار يعود في لون رمادي
أو يميل

قرية فايترزفيلد- شمال النمسا، ١٣-١٠-٢٠٠٢

سواد الحروف

منذ عام ١٩٥٩
وأنا أنحت في هذا الكتاب
لأبدي هذه الحروف

أيدري أحد
حصيلة العمر
في تخليص بعض السواد
من أسر كل هذا البياض؟

قرية فايترزفيلد- شمال النمسا، ١٣-١٠-٢٠٠٢

أحلم

حين أحلم
أستطيع أن أبطِّئ الأحداث
أن أتحكَّمَ في الزمن
أن أكرّر الأفعال
في الحُلم أجمِّل وأختار
ولا أتعجّل
في حُلمي ألغي مَنْ لا أحبّ
وأقرّب من أقرّب
وأفعل أفعالَ السلاطينِ بقدر

حين أصحو
لا أستطيعُ مجرَّدَ أن أوهِمَ نفسي
بتغييرِ ما حَلَمْتُ به
أنتظر النوم من جديد
ويظلُّ النهارُ كابوسًا بطيئًا في مداره
وهو يُمَرِّرُ الوقت

فيينا، ١٨-٩-٢٠٠٢

سوق الله

كلُّ هذهِ العُيونِ تنتظرُ رُوحَ المحفظة
وهو يمشي في السوق كالأمل
تتبعُهُ الوجوهُ كأعناقِ البُوم
تنسِجُ أحلامَ يقظة
أقصرَ من خُطواتِ هذا الماشي

حين يتمهّلُ
تتمهّل نبضاتُ القلوبْ
حين يُسرِعُ
تعودُ الأعيُنُ لأوَّلِ الطريقِ وأوَّلِ العَيْن
في انتظار رُوح محفظةٍ تتخفَّف ممّا فيها

الرءوسُ المتعجِّلةُ تغزلُ أحلامًا بطيئة
الأفواهُ تتبارَى في زَجْرِ الأطفالِ الباكِينَ
ولَعْنِ شيطانِ هذا اليومِ
في دعوةِ الله ليكون ضيفًا على السوقِ
ساعةً
لا يأتي
لا أحَدَ يأتي
للعُيونِ المُنتظِرَة
فيسبُّ الناسُ في سِرِّهِمْ هذا الوهم

جمّرت، تونس، ٦-٩-٢٠٠٢

رهينة

لم يكنْ ما دَخَلْتُ منه بابًا
لكنَّهُ انفتحَ للدُّخول

بعد أن لم أجِدْهُ دهرًا
وكانت المفاتيح مُكَوَّمةً
منها الخشب والنحاس أو الحديد
ولم تكن هناك فتحةٌ تُنْبِئ بسِرِّ المِفتاح
قبل أن يضيعَ الوقت
كنتُ قد بدأتُ بنَحْتِ مَخْرَج
بما وَجَدتُ من مفاتيح
ولما انتهيتُ من خَرْقِ فتحة نور
ظَهَرَ مَنْ يُشبِهُ الحاجب
سألني في استهتار:
"أتريد الخروج؟"
"لا!"
- مِن غضبي وكبريائي رَدَدْتُ -
ثم الْتَوَيْتُ أَنْحِتُ
دون أن أحِسَّ بما كانَ يقَعُ منِّي
معَ التُّرَابْ

جرَت، تونس، ٣-٩-٢٠٠٢



صرتُ أتمهَّل
في خطوات مثل خطو
أهل الأطفال العائدين
منهكين بوجوه قديمة

سرتُ مثلَهُمْ
بطيئًا
رأسي كان يجري
وقدمٌ منِّي تَحُثُّ الخطو
بَحْثًا عن رُوح المدينة
والأخرى تزحَفُ
مثل خطو العائدين
سرتُ في نهاية الطريق أعرج

ستروجا، مقدونيا، 26-8-2002

نبيذ وبُكاء

كنتُ أعتقدُ أن النَّبيذَ من البُكاءِ يأتي
صَدَّقـْتُ لَّما بَكَى إسماعيلُ في الفـرَح
بَعْدَ أنْ شَرِبَ النَّبـيذَ لِلْمَرَّةِ الأولى
:
ولَّما انكَسَرَتْ زُجَاجَةُ النَّبيذ
على سَطْحِ البَيْتِ في اللَّيل
وفاحَتْ رائحتـُها
قالتْ جَدَّتي: "أنتـُمْ مَلاعِينُ وأهلُ نَار!"
قالتْ أمّي: "أخَذَت الشَّـرَّ ورَاحَت!"
لم يَقـُلْ أبي شـيئـًا
:
ثم بَكَيْنَا
:
:
في ضُحَى اليوم التالي
ذكَّـرَتـْني بقاياَ الزُّجَاج
ولونُ دَم الثـَّوْرِ
بقـَوْلِ جَدَّتي
إنَّ النبيذَ يأتي من القرَابـينِ
مِنْ دَمِ الذبائح
:
:
أَعْـتـَقِدُ أن البُكَاءَ رُبَّمَا يأتي من النـَّبيذ

ستروجا، مقدونيا، 22-8-2002

بعضُ الظنِّ

إلى اسم شاعر كُنا نحبه كثيرًا

حين سيتقاطعان في الطريق عند الزَّوَال

سيظُنُّ الناظرُ من كوَّته العالية

أنهما رسما صليبًا على الأرض

سينتظرُ زَمَنًا طويلاً

كي يأتي أحَدُهما للاعتراف

سيكونان في عجلة من أمرهما

لتنفيذ توافه الدنيا المهمّة

وهو هناك ينتظرُ بِصَبْرِ

رَجُلٍ مَلُولْ

ستغيبُ نصاعة الثلج

وشفافة المطرْ

سيبهَتُ حِبْرُ الظِّلِّ

سيتكسَّرُ زجاجُ النوافذ

ستُخلخل الرِّيحُ الأبواب

سَيَسُدُّ الناسُ المنافذ بكلامٍ سَمِيكٍ

ولامبالاةٍ كاذبة

ستدخُلُ الرِّيحُ تتقدَّم

ستهزم كُلَّ سَدٍّ صَادَ

وكل صدٍّ سادَ

ستعلو فوقَ الهاماتِ ينهَشُهَا جُوع

تحطّم كُلَّ المصابيح

فتعصب العيون

وتنسفُ لَهَبَ الشُّموع

فتغصب الدَّعوات

ستلحس كُلَّ نور ونار

في أوَّلِ العشاء

سَوْفَ يُرَدِّدُونَ ابْتهالاتٍ قديمة

لن يعرفوا كيف جاءت على ألسنتهم

في حَوْلٍ كهذا

سيُقلّدُ بعضُهم شخصًا بعيدًا كأنه يُصلي

حتى يمرّ عصف وقتٍ لا يمرّ

حتى زوال عصرٍ لا يزول

سيسبّون في أول السَّحَر













قَبْلَ وَدَاعِ الشَّمْسِ
تَوَحَّدَا
ثُمَّ غَابَا
فسِرتُ مهلا

حِينَ دَخَلَ الليلُ بعَيْنِ بَدْرِهِ
كنتُ الوَحِيدَ السَّائِرَ في هَذِهِ الطَرِيقِ
بِلا ظِلّ

وحِينَ شَفَّنِي أَوَّلُ مِصْبَاحٍ
عِندَ حَدِّ المَدِينَةِ
كِدْتُ أَضْحَكُ
في وُجُوهِ المَارَّةِ والجَالِسِينَ
وَأَنَا أُحِسُّ بظِلِّي في دَاخِلي
مُسْتَقِرًّا يُرَدِّدُ نَبْضِي
وَأَنفاسِي
ببالِ طِفْلٍ
بريءٍ مرتاح

فيينا، ٨-٤-٢٠٠٢

لا ظِلَّ لكم

لم يفرِّقْ هذا الرجلُ بين الظلِّ والظلام
كانوا يتهكمون عليه
لأنه يُصرُّ على ما يرى
لم يفكِّر واحدٌ فيما يقول هذا الرجل
كان يردد أيضًا:
إن الله يظهر كثيرًا في الليل
وإن هذا ظلُّه
وكان يقول أيضًا حين يشتدُّ غضبُه
أنتم ناس لا ظلَّ لهم ولن يكونْ

حينما كان يبتعدُ عنهم
كنتَ ترَاهُمْ يسيرون مُنْحنِيِّين
ينظرون إلى ظِلِّهم طَوَال الطريق
ويتأكدون أن الظلم لمَّا يُفارقْ أقدامَهُمْ
لكنهم لا يرفعون رُءوسَهُمْ أبدا
بعد أن يغادرهم

الرجلُ كان يثأر لنفسه
حين يراهم هكذا ويردد
ألم أقل لكم أنتم ناس لا ظِلَّ لهم
ثم يضحك ويمشي
ويزدادون هم انْحِنَاء

فيينا، ٢٨-٣-٢٠٠٢

في صحّتك!

دَخَل
نَظَـرَ حَوْلَـهُ في نِصْفِ دَائِرَةٍ
تـَوَجَّهَ إلى الرُّكنِ
ظَـهْرُهُ إلى كلِّ الجَالِسِينَ
وَجْهُهُ أَمَامَ الْـمِرْآةِ
التي يَرَى نَفسَهُ فيها والآخَرِين
:
طلبَ الكأسَ الأُولَى ثـُمَّ الثانية
بَدَأ يُلْغِي مِنَ المَشْهَدِ بعضَ الأشْخَاص
رَاقـَتْ له اللُّعْبَة
:
طلبَ الثـَّالثة
عِندَ الكَأسِ الخَامِسَةِ
كَانَ قـَدْ ألغَى مِنَ المِرْآةِ
كلَّ الحُضُورِ والأصْوَاتِ
لـَمْ يَكُنْ يَرَى إلا النـَّادِلة
وصُورَتـَهُ
فكَّـرَ قليلاً أنْ يُلغِيَهَا أيضًا
لكنـَّهُ تـَرَاجَعَ عن الفِكْـرَة
:
طلبَ كأسًا أخِيرَةً له ولِجَلِيسِهِ في المِرْآة
رَفـَعَ نَخـْبَ النـَّدِيمِ وهَتـَفَ عَالِيًا
"في صِحَّـتِك!"
وبَدَأ يَحْكِي له حِكَايَتـَه

فيينـّا، مقهى النيل Café Nil ، ٥-٣-٢٠٠٢

لاعب

كأنّي أَنطلِقُ عَبْرَ الخَطِّ لأسْتَبْدِلَ لاعِبًا وَهْمِيًّا بنفسي. لأقُومَ بدَوْرٍ ما لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ لا أَعْرِفُه. ثَمَّةَ جُمْهورٌ– لا أَرَاهُ– أسْمَعُ صَوْتَهُ يَهْدِرُ ويَصْفِرُ في غَضَب.

يَبْدُو أنَّنِي خَاطِئٌ عَلى الدَّوَام. واللهُ هناك لا يُسَاعِدُنِي، رغمَ أنَّنِي أُرْسِلُ له إشَارَاتِ الاحْتِرَامِ والتَّبْجِيلِ والتَّقْدِيس.

أخشَى أنْ يَتِمَّ اسْتِبْدَالِي؛ فأنا لا أَعْرِفُ مَاذا يَنْتَظِرُنِي إنْ عَبَرْتُ الخَطَّ إلى الخَارج. لا أَعْرِفُ في مَلْعَبٍ وَاسِعٍ كَهَذا إلى أيِّ اتِّجَاهٍ أرْكُضُ ولِمَ ومتى.

الجُمْهُورُ مَازَالَ يَهْدِرُ بصُرَاخٍ وشِبْهِ عَوِيلٍ أو عُوَاء، فأرْكُضُ مَذْعُورًا في أيِّ اتجاه.

فيينا، ٤-٣-٢٠٠٢

لا ظِلَّ لِتِلكَ الشَّجَرة

لَـمْ يَقِفْ عَلَيْهَا عُصْـفُورٌ

ولم تَـسْقـُطْ مِنْـهَا وَرَقة

عدَّهَا البَعْضُ مُقـَدَّسَةً

والبَعْضُ الآخَرُ مَلْعُونَةً

تـَعَصَّبُوا

ضَغِنـُوا

دمّوا

:

:

لَـمْ يَنـْتَبِـهْ أَحَدٌ لِكَلام تلكَ المَرْأةِ

التي تَـسْكُنُ أَمَامَهَا

الكلام الـَّذِي رَدَّدَتـْهُ عَشَـرَاتِ المَرَّاتِ:

" لـَمْ أَرَ طـَوَالَ أَرْبَعِينَ عَامًا ظِلاً لِهَذِهِ الشَّجَرَة!"

فيينا، ٢-٣-٢٠٠٢

قهوة وقرفة

تُوزِّع قهوتَكَ السادة على الناس
وتُعاينُ المرارة على زَوَايَا شفاههم
والذهان
وكلامك الذي اعتقدت أنه سكَّر الحديث
يصير رغوة بطعم صابون رديء
لكنك تواصل الْوَهْمَ بهم
وهم خاشعون

كانوا من البلاهة أنهم اعتقدوا
أنهم في واجب عزاء
من أوعز لهم
لا يعرفون
ولا يتجَرَّءُون على أيِّ إشارةٍ لذلك اليوم

الأغرب:
أنه ما زال يُوَزِّع قهوته السادة
في صمت
أيام الجمعة والسبت والأحد
أضاف القرفة حين هلَّت النساءُ لصُفوفِ الكرَاسِيّ

فيينا، ١-٣-٢٠٠٢

طريق الأسر

حين يمُرُّ مُبَطَّنًا بالذُّعر
ملوِّحًا للخلق
معتقدًا أنه رَحْمَة لهم
يكونُ أشدَّ قسوة
وسَدًّا لطريقهم

وحين يفرشُ جلاوذته
طريق الموت لهم
يكون هو أبهى السائرين فيها

فيينا، ١٩-٢-٢٠٠٢

أنفاس لا تطاق

سقط هذا النورُ الثقيل

ارتطم عنيفًا

مُخلفًا شرارةً اختفتْ

ثم انعدَم

أَتَوْا ملهوفين يشرحون

يصفون الحجْمَ والصَّوْتَ والزمَنَ والأبعاد

يُبالغون ويُحسِّنون الرُّؤيا

.. ..

.. ..

صارت الحكاية مع الوقت تتجلَّى

صار المكانُ مَحجَّةً ومقامًا

وزاد الوعظ والتقوى والكذبُ المُلوَّن

.. ..

.. ..

كنتُ وصديقي نردِّدُ الحَدَثَ كمزْحَةٍ

قهقهاتنا وَشَتْ بنا

فأتوا بمشاعلَ حيث كنا جالسين

مُمدِّدين أقدامَنا نحوهم

كانت وُجُوهُهمْ تُدخِّن برائحةِ كِبْريت

وكنا قد أسرفنا عافيتنا على الضحك

فلم نقوَ على قيام أو حتى على فزع

.. ..

.. ..

تخيَّلناهُمْ يشتعلون مثلَ شموع

فضَحِكْنا من جديدٍ بقهقهاتٍ

هبَّتْ في مشاعِلِهِمْ فأطفأتْها

اختفت وجوهُهم

وظلت عيونهم في الظلام تلمع

ولم تكن أنفاسُهم تطاق

فيينا، ١٩-٢-٢٠٠٢

صور ضخمة لتماثيل أنيقة

نومُنا دائمًا سريع بعد المديح

بالمديح ننامُ
بالمديح الكاذبِ لنهارٍ باهتٍ
ولِصُوَرٍ ضخمةٍ لتماثيلَ أنيقة
مُعلَّقةٍ على الجُدران
تتبسّم علينا

نتثاقل قبلَ الصَّحْو
نشدُّ حُلمًا لم يأت
نخدعُ أنفُسَنا بحُلم صَحْوٍ مُخادِع
وحين نستيقظ بعُيون أسماكٍ ميتة
ويأتي هاجسُ الخيبة
نبدأ بحفظ بُيوتِ المديح
قبل أن يمُرَّ بنا الليل
ليَهُشَّ علينا
لننامَ وننعُس

نحاول أن نحيا
في نهارٍ باهتٍ ميت
ترفرفُ فيه أعلام
صُنعت من جُلودِنا
جوَارَها صُفّت
صورٌ ضخمة لتماثيلَ أنيقةٍ
معلقةٍ على الجُدران
علينا تتبسّم

فيينّا، ١٢-٢-٢٠٠٢

كلام مسعور

كنتُ كُلَّما كتبتُ كلمة
سقطتْ بعضُ حُروفها الواهنة
وبقي صَلفُ الكلام متفقدًا السطور
مثل كلب مسعور أو ضبعة

يتجمَّع صلف الكلام في رُكن الصفحة
ساحبًا معه بعض الحروف الواهنة
كفرائس وديعة
لا يترك منها حرفًا ولا نقطة
وحين يأتي عليها كلها
ينتصب في عرض الصفحة
قبيحًا مبتورًا يتجشأ

في الليل يجوع
ولا تبقى ثمة حروف
عيون الضبعات تلمَعُ في الظلام
وأصواتٌ كئيبة تبتعد
وتقلّ العيونُ رُوَيدًا
حتى تختفي

أعود لأكتب
بانيًا سَطرًا من الكلام
حارسًا لحروفه الواهنة
من الصلف والتدجين
ونهج الطرائد
والكلام المسعور

فيينّا، ١٠-٢-٢٠٠٢

طاقة

أغلقتُ أجفاني

أردت أن أرى الظلام في نفسي

وفي أيّ ركن يبرق

كطفل عنيد

هالة كانت

فتحت أجفاني لتنزل

دحرجتْ كلَّ الظلام عني

فلم أرَ بعدها

إلا سطوعًا جنـّد نفسه

طاقة

فيينـّا، ٨-٢-٢٠٠٢

نور ثقيل

سَقَطَ النورُ ثقيلا أصفر

كأنه ردمٌ من الفضاء

ثم تمدَّدَ بين الجُفون

فلم نرَ إلا الغُبار والعفار

لكنهم حَكَوْا لنا عن حالنا

قالوا إنّا

من هول سقوط النور

فزعنا

صرنا تماثيل من حجر

وخفنا من مسوحنا وظلالنا

ثم تفرقنا مثل نمل ضربته شمس

قالوا هذا وهم يبتسمون ويهمس بعضُهم للبعض بكلامٍ آخرَ لم نسمَعْهُ.

هكذا كانت عادتهم مع سقوط كل نور؛ يتهامسون في ركن مظلم بعيد.

كنا أيضًا لا نراهم إلا في الظلام

فيينا، ٤-٢-٢٠٠٢

وبَقِيَتْ "كَيفَ"

كيف أغسل رُوحِي الآنَ برفض الأقنعة واسْتِعَادَةِ طفـلٍ يحفـظُ درسَ الرَّمل ويضع إصبعَهُ كدبوس في كُـلِّ فقاعـة؛ كـي أنـامَ بوَجْهٍ مُستريحٍ وقلبٍ هادئ، وأختارَ حُلمي كل نَوْمَة؟

كانت نيَّتي أن أغسلَ رُوحي بدِفْءِ الماء، لكنه كان مثلجًا، ومع ذلك فعلت.
لعلِّي كنتُ أريد بهذا أن يصير ظلِّي مثلي
ولم أفلح.

:

:

كانت النية أنْ أرفُضَ ألفَ قناع تمتـدُّ بهـا الأيْـدِي لأشـاركَ في الاحْتِفَالِ- الكَرْنَفال.
لكن في كل مرَّة كنتُ أرْفُض، كنتُ ألْبَسُ قنـاعَ رفـضٍ جديـدٍ بينما أهُزُّ رأسي وأخفي يديَّ.

:

:

كانت النيةُ أن يدرِّبَني طفلٌ ذاكرتي على الضَّحِكِ من جديد؛
وعلى رَمْي الأسئلة على الناس بأشواكها.
لكنني صرت أتواطأ بالوقار.

:

كانت النيةُ أن أفقع هذه الفقاعات التي تُحيطُ كُلَّ عابر وكُلَّ
جالس. لكنَّ فرقعة الصوت في غير أوقات الكريسماس
أجْفَلَت.
صارت جنحة ضد السكينة.
:
:
كانت النية أن أضع الأسئلة كقلاع رَمْلٍ على الشاطئ أو
كتمثال الثلج؛ لأعيد البناء مَرَّات. لكنهم أقنعوني بصُنْع أسئلةٍ
من حديد.
لم يهتمُّوا بفزعي وهي تصدأ.
:
:
كانت النية ...
وكانت النية ...
:
:
سبعة وثلاثون عامًا في بحر نياتٍ تكرمشت كلها
صارت مثل أوراق شجر الخريف، بهيّة؛ هشّة، على وشك
السقوط إن أمر الوقت أو عجّلت الريح
:
:
وبَقِيَتْ "كَيفَ"

فيينا، ٩-١-٢٠٠٢

نسيته في الصباح صاحيًا

حين يقَعُ منكَ الظلُّ عند الناصية
عند أوَّل قنديل منتظر
ولا تتنبَّه
ولا تتنبه وأنت تسير اثنين
يزحف منك الآخَرُ بلون واحد
وعينك على الناصية القادمة
لا تتنبه

ولا تتنبه حين يضربك قنديلٌ جديدٌ ويُخرِج روحَ ظلك

تكون تلك هي أفكارك في الطريق التي لم تتنبه فيها

وحين تفتح باب شقتك ويقلقك وجود المصباح الذي نسيته في
الصباح صاحيًا
ترى ظلك منكسرًا على الحائط
فتحاول أن تتذكر شيئًا لا تعرف ما هو
يكاد خط الشرخ على الحائط يساعد كسلك
لكنك تطفئ المصباح في حركة تلقائية وتُنيرُه من جديد
كأنك بهذا تمسحُ هاجسك
وتجدِّدُ رُوحَ الغرفة — فيك

فيينا، ٦-١-٢٠٠٢

ضريح الظل

مشهد ١

ظَهَرَ ظِلٌّ خافتٌ يومًا
هكذا دُونَ أصْلٍ
حارَ الناسُ في تفسير الحالة
صاروا يتجمَّعون في دائرةٍ حوله
يسألون العلماءَ منهم وأصحابَ الرَّأي
ولم يصلوا إلا لفراغ

خَشُوا أن يَطَئُوا الظلّ
جَعلوا حولَهُ سُورًا
يمنعُ عَبَثَ الصِّغار والمجانين
صاروا يتقرَّبون للظل
يتبرَّكون يتوسَّلون
يتضرَّعون يتمنَّوْن
يتودَّدُون يتشفَّعُون
يتأمَّلون يُصَلون

مشهد أقدم

استقام الظلُّ القديم

من نَوْمَتِهِ على الأرض

انتفض ونفض الغبار

وأراد أن يكون

مشهد 2

حين كان الظلُّ واستقام

لاح للظلِّ ظلٌّ خافِتٌ على الأرض

فارْتبك وحار ولزِمَ مكانه

صار الناس يُصلون للظلِّ الجديد

اغتاظ الظلُّ القديم

سار في ضُحى يوم مشمس

أراد أن يسحبَ ظله معه

لكنه لم يستجبْ له

بَقِيَ الظلُّ الجديد ماكثا في مكانه

منشرحًا بزيارات الناس وتمنياتهم وتبريكاتهم

مشهد أقدم

أراد الظلُّ القديم

أن يعُودَ لنومته على الأرض

لم يستطعْ

ظلَّ يخفُت

وهو يرى الظلَّ الجديدَ

الذي انسلخَ منهُ

يبتعد

مُختالاً على الأرض

متمرِّغًا

بينما هو يخفُت

في الفضاء

لا يراه أحد

فيينّا، ٥-١-٢٠٠٢

حبل من الدموع

يُمكنُني أن أصنعَ من دموعِك
حبلاً من الماء
ومن صوتِك بعضَ الصدفِ والرمل
ومن أمنياتِك بعضَ الأبوابِ والنوافذ
ثم أنأى لرُكْنٍ بعيد فخورًا بنفسي وبما فعلت

ولا أنتبَهُ إلىَ أنَّ الحَبلَ علىَ وَهْيِه
لا يَنقَطِع
وأنَّ الصَّوتَ لؤلؤٌ مطمورْ
وأنّي نَسيتُ النَّوافذَ مُغلَقةً
لكِنّي فتَحتُ البابَ
ونِمْتْ

فيينا، ١-١-٢٠٠٢

مِهبَط

كنا نظن أنه مصعد
كان في الجبّ يهبط
بحياد
رُءُوسُنا كأنها بحبال قد رفعت
إلى آمال تبتعد
كنا في حبل صلاة
برعبٍ لا بخشوع

المهبط كان يستمتع بالغنيمة
ويهتز من لذة رُعْبِنَا
الوقت كان قصيرًا للتفكير
مبتورًا عن أيِّ صلاة
قريبًا من هواجس النذور
نذور: "لو كُتِبَ لي عُمر؛ لكنت.. .."

كم كان الوقتُ رَصَاصِيًّا!
:
:

ثم توقف المِهبَط
انفتح الباب
رمينا بأنفسنا في الحياهْ
كنا في الدور نفسه الذي لم نغادرْه
وكنت خارج المصعد
بفردة حذاء واحدة وجورب متسخ

فيينا، ٢٩-١٢-٢٠٠١

حرقة الشمس

وأنا أسير في حُرقة الشمس
متوقعًا الوصول لهدفي الذي طال
لم أتنبَّهْ إلى هروبِ بعضِ الكلامِ مِنِّي
إلى ظِلٍّ في الناصية

صرتُ أحكي كلامًا غريبًا مقصوفا
غَيْرَ مُرَتَّب
لم أفهم ماذا أقول
ولا أين باقي الكلام هَرَب

عُدتُ إذ لم أعُدْ أدري
إلى أين كنت أنوي

عند ناصية الطريق
وجدت تلاًّ من كلام
مُسْتلقيًا تحت شجرة
والبعض منه قد نام

تعرَّفتُ على كلامي

وَسْطَ التلِّ المركون

أيقظتُه وقلتُ له لِنَعُدْ

قامَ مُكْرَهًا مُذكِّرًا إياي

بالشمس الحارقة وطول الطريق

اخترتُ طريقًا لا ظل فيها

ولا شجرة

ولا حتى ناصية

لم أرغبْ أن يهرُبَ منِّي الكلام

قبل الوصول

أو يتبعثرَ في الطريق

سِرْتُ

ورغم ثِقَل الكلام وحُرْقةِ الطريق

كنت مستريحًا أنني أسيرُ بكُلِّ كلامي

كريمس، النمسا، مقهى رايمتس Café Raimitz، ٢١-١٢-٢٠٠١

هرولة

الرجلُ الذي هرول على ظلي

في ذاك العصر

أفزعه

فانتقل ظلي خلفي

كطفلٍ يحتمي بي

في ذاك اليوم

توزّع ظلي فجأة عند الغروب.

لم أستطع لمّه

صرتُ حيرانا

أخشى أن يدوسه هؤلاء العابرون

بأحذيتهم الثقيلة

أو أن تقفَ عِندَهُ امرأةٌ بكلب يبول

أو يُفعَلَ عليه ما تفعله الكلاب

في شوارع فيينـّا.

جراتس، النمسا، مقهى تِمّيل Café Temmel، ١١-١٢-٢٠٠١

عبث

في ذاك اليوم
عبثتُ في الظل ساعات
كنتُ مبتهجًا حين عُدت
ملوَّثًا بالظل

أوقفتني أمي عند الباب
عابسة كانت
خلعت عني
كل ملابسي وحذائي
أوقفتني تحت الضوء طويلا
بعدها ابتسمتْ هي وعبثتُ أنا

جراتس، النمسا، مقهى تِمّيل Café Temmel، ١١-١٢-٢٠٠١

وجل أحمر

الرجلُ الذي يُرَبِّي الثيرانَ الصغيرة
ولا ينظرُ في عُيونها
يتركُها تُفلت مُقابِلَ قرابين
يعتقدُ أنه خادمٌ مناضلٌ للآلهة

الرجلُ يحلم في الليل
بأنه يصعد على قرون الثيران
حتى عرش الإله
ليفتح هناك كفيه أمامه
معتقدًا أنهما خاليتان

يجزع حين يرى إحدى كفيه حمراء
بلون الدم
والأخرى ملآنة بعُملاتٍ من عيون الثيران
بينما يهز الإلهُ رأسه ويحكّ لحيته

الرجلُ يتكلمُ فلا يخرج كلام

يسقط على الأرض في صلاة خائرة

حين يقوم منها

يجد نفسه على أرض غرفته يبكي

حوله زوجته وأولاده والجيران

يسمعُ إشفاقَ الناس على أهله

يُدرك من همسهم

أنَّ الحَدَثَ يتكرَّرُ كثيرًا

.. ..

.. ..

منذ الآن يبدأ الرجل

في إطالة النظر في عُيون الثيران الصغيرة

يُحدِّثُها ويَحُكُّ القرون

يتوقف عن الأحلام

لكنه ما زال ينظر إلى كفيه بانزعاج

ولم يعد ينام

في القطار من كريمس إلى فيينّا، ٦-١٢-٢٠٠١

فهرس

السيرة الذاتية

طارق الطيب، مولود في القاهرة في الثاني من يناير من العام ١٩٥٩، لأب سوداني وأم من أصول سودانية مصرية. عاش طفولته في حيّ عين شمس - محل إقامة والدته حتى اليوم - متنقلاً في الصيف بين حي البيّومي في منطقة الحسينية حيث عاشت جدته لأمه، ومنطقة "أبي صقل" (أبو سَجَل) في شمال سيناء حيث عمل والده.

تعلم في كتّاب الشيخ علي بعين شمس قبل أن يلتحق بمدرستي الإمام محمد عبده الابتدائية والنهضة الإعدادية بعين شمس، ثم مدرسة ابن خلدون الثانوية بالحلمية. تخرّج في عام ١٩٨١ في كلية التجارة - جامعة عين شمس - مصر.

انتقل في يناير ١٩٨٤ من القاهرة إلى ڤيينا حيث يقيم الآن. درس فيها الاقتصاد والعلوم الاجتماعية. تخرّج في العام ١٩٩٧ في جامعة الاقتصاد بأطروحة دكتوراه حملت عنوان: "نقل الأخلاق عن طريق التكنولوجيا - الصراع بين الهوية والربحية".

يعمل - حاليًا إلى جانب أعماله الأدبية - كمدرس ومحاضر في جامعة العلوم الإدارية بمدينة كريمس **Krems** وجامعة جراتس **Graz**.

حاصل على العديد من المنح والجوائز الأدبية من النمسا، آخرها: منحة "ليترار ميكانا" للأدب لعام ٢٠٠٥-٢٠٠٠، ومنحة

إلياس كانيتّي الكبرى من مدينة ڤيينّا لعـام ٢٠٠٥. شـارك في بعـض المهرجانـات العالميـة لـلأدب: في النمـسا، ألمانيـا، فرنـسا، مقـدونيا، هولندا، أيرلندا، صربيا، سلوفاكيا، ومصر فقط من الدول العربية.

لـه ثمانيـة أعـمال منـشورة بالعربيـة وكتـب مترجمـة إلى الألمانيـة والفرنسية والمقدونية والصربية وبعض النصوص المترجمة في دوريات أدبية وأنطولوجيات إلى لغات أخرى.

عنوان صفحته الشخصية: www.eltayeb.at